المقدمة

يكاد النقاد يجمعون على أن شوقی كان تعويضاً عادلا عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبی إذ لم يظهر فيها شاعر موهوب، يصل ما انقطع من وحی الشعر، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب. ومما لانزاع فيه أنّ شخصية شوقی، ومواهبه الشعرية، تكاد تكون منقطعة النظير، فی تاريخ الأدب العربی. كان شوقی ينقل شعره عن طبع دقيق، وحسّ صادق، وذوق سليم، وروح قوی، فيأتی به مطرد السلک محكم السبک لايشوبه ضعف، ولا لغو، ولاتجوز، ولاقلق. وهوكالمتنبی فی أنه تصرف بين الناس؛ فلابس أولياءهم، وخالط دهماءهم، حتی عرف كيف يصف طبائعهم، ويصور منازعهم. وهومثله فی إرسال البيت النادر، والمثل السائر، والحكمة العالية، مستخلصاً ذلک ممّا يسوق من المعانی المدح أوالوصف أوالرثاء، دون أن يتوحاه أويقصد إليه، وهوكذلک مثله فی أن بيته يفيض بالمعنی البعيد المبتكر فيضاناً يغرق فيه الذهن أحياناً، فلايصل إلی قاع، ولايرسی إلی ساحل.

كان للأخلاق، نصيبٌ وافرٌ، فی شعره، وهی من خصائص بناء المجتمع السليم. ونلاخظ أنه بنی أسس الأخلاق، علی الشريعة الإسلامية المستقاة من وحی الله، ومن سنّة الرسول (ص) الذی يقول فيه:

يا مَن له الأخلاقُ ما تَهوی العُلا منها، وما يتَعشَّقُ الكبراءُ
لولم تُقِم ديناً، لَقامَت وَحدَها ديناً، تضیءُ بنورهِ الآناءُ

(شوقی، ۱۹۶۴م، ج۱: ۳۵)

فهنا ينبغی لنا أن نُومیءَ بصورة موجزة إلی مولد الشاعر، ونشأته. ثم نشير إلی ثقافته، وآثاره الشعرية، والنثرية قبل أن ندخل البحث الأصلی.

مولده ونشأته

هو أحمد شوقی بن علی بن أحمد شوقی، أشهر شعراء العصر الأخير. كانت ولادته فی القاهرة، سنة ۱۲۸۵ق/ ۱۸۶۸م. (الزركلی، ۱۹۸۰م، ج۱: ۱۳۶؛ الفاخوری، ۱۹۹۱م، ج۴: ۴۸۶؛

العسیلی، ۱۹۹۸م، ج۱: ۵؛ حسن، ۱۹۶۴م: ۳۷) وکانت هذه الولادة مدار جدل، وحوار فیما بعد، لدی الباحثین، والدارسین لشخصیته. فهو حین کان ینادی بالوطنیة، والحریة، وطرد الاستعمار، کان الکثیرون من الذین وضعوا علامة استفهام کبیرة حول نشأته، یعللون مفارقات ولادته، فی الدم الکثیر العناصر الذی یجری فی عروقهِ، والذی یحمل الأصول الترکیة، والشرکسیة، والیونانیة، والعربیة. (طه حسین، ۱۹۳۳م: ۲۷؛ حسن، ۱۹۶۴م:۳۷)

وفی الرابعة من عمره، ألحق بکتاب الشیخ صالح حیث قضی أربع سنوات حافلة بالخشونة، ثم انتقل إلی مدرسة «المبتدیان» الابتدائیة، ثم إلی «التجهیزیة»، ثم التحق بمدرسة الحقوق، وبعد سنتین ترکها، والتحق بقسم الترجمة حیث أتقن الفرنسیة، ونال الإجازة. وقد عطف علیه الخدیوی[1] توفیق عطفاً خاصاً، فعیّن أباه مفتشاً فی الخاصة الخدیویة، وعینّه هو من بعده، وفی سنة ۱۸۸۷م أرسله إلی جامعة «مونبلیة» بفرنسة لإتمام دراسة الحقوق، والآداب. وفی سنة ۱۸۹۱م عاد إلی مصر بعد اطلاع واسع علی الحضارة الأوربیة، والآداب العالمیة. (الفاخوری، ۱۹۹۱م، ج۴: ۴۸۶؛ الزیات، لاتا: ۵۰۰)

ثقافته

إنّ الروایة التی ذکرت عن أحمد شوقی، بأنّه کان دائم النظر إلی السماء فی طفولته، لاتعدو کونها دعابة تظهر الذکاء الذی وُلد معه، أوجعله دائم البحث بین النجوم عن الجدید. وما البحث الذی اشتهر به شاعرنا سوی الثقافة العالیة التی امتاز بها، فی تتبع أثر الشعراء الکبار، أمثال أبی فراس الحمدانی (۳۲۰– ۳۵۷ق)، وأبی العلاء المعری (۳۶۳– ۴۴۹ق)، وأبی العتاهیة (۱۳۰– ۲۱۰ق)، والبهاء زهیر (۵۸۱– ۶۵۶ق)، ومن الذین تأثر بهم أشدّ التأثر فی شعره، أبی الطیب المتنبی (۳۰۳– ۳۵۴ق) وإلی جانب الشعر، درس النثر، وتعمّق فی کتب أعلامه الکبار أمثال الجاحظ (۱۵۹– ۲۵۵ق) الذی أکبّ علی دراسة کتاب الحیوان عنده، والمبرد (۲۱۰– ۲۸۶ق) فی کتابه الکامل، والقالی (۲۸۸– ۳۵۶ق) فی کتابه الأمالی، والأصفهانی (۲۸۴– ۳۵۶ق) فی کتابه الأغانی. (محفوظ، لاتا: ۱۳۳)

۱. الخدیوی: لقب حکام مصر قبل الحرب العالمیة الأولی.

وعمد إلی حفظ الکثیر مما فی المعاجم من الألفاظ، ومعانیها، واشتقاقها، وأوزانها، وأصولها، ولم یترک شیئاً یتعلق بها إلا واطلع علیه. (أبوالعز، ۱۹۳۲م: ۸۶) ومن کبار العلماء الذین تتلمذ علی أیدیهم الشیخ الأزهری الجلیل الشیخ محمد البسیونی، الذی کان مدرساً فی الأزهر. (محفوظ، لاتا:۱۳۳) ومن الشعراء الذین اقتفی أثر القدامی فی شعرهم، وتتلمذ علی أیدیهم: إسماعیل صبری (۱۲۷۰– ۱۳۴۱ق) ومحمود سامی البارودی (۱۲۵۵–۱۳۲۲ق) ونستطیع أن نجد أسماء هؤلاء الذین تأثر بهم فی شعره، ولغته، وأدبه، وثقافته الدینیة والدنیویة، فی مقدمة الطبعة الأولی لدیوانه (المصدر السابق: الصفحة نفسها) وکانَ مولعاً أشدّ الولع بکتب التاریخ التی أمدّته بماضی مصر، والبلاد العربیة، وحضارة الإسلام، وشرعه الحنیف، وکذلک حضارة الفراعنة، وما تتسم به من سماتٍ فریدة الأثر. وإلی جانب ثروته العربیة فی مجمع علومه، استطاع أن یجمع له ثقافة أجنبیة من خلال اللغات التی أتقنها. وهی الترکیة التی أحسن استعمالها فی مدرسة الترجمة بمصر، ثم اللغة الفرنسیة، وخیرُ من یمدّنا بثقافة شوقی، طه حسین، الذی یقول فیها: «کانَ شوقی مثقفاً یحبّ الثقافة، ویشتدّ فی طلبها، والتزود منها ... .» (حسین، ۱۹۳۳م: ۲۰۰)

وفاته

وفی المرحلة الأخیرة من حیاته، کان أحمد شوقی یقوم بأسفار إلی أوربة، وکان فی باریس یتردّد علی الکومیدی فرانسیز، ویعالج فن المسرح الشعری، کما کان یؤثر الاصطیاف فی لبنان متمتعاً بجمال أرضه وسمائه، وظلّ کذلک إلی أن توفاه الله فی ۱۳ تشرین الأول سنة ۱۹۳۲م. (الفاخوری، ۱۹۹۱م، ج۴: ۴۸۸؛ الزیات، لاتا: ۵۰۱؛ العسیلی، ۱۹۹۸، ج۱: ۷) وحین دفن کتب علی قبره بیتان من الشعر مأخوذانِ من قصیدة «نهج البردة» إنفاذاً لوصیته.

والبیتان هما:

یا أحمدَ الخَیرَ، لی جاهٌ بِتَسمِیتی ... وکیف لا یَتَسامی بالرسولِ سَمی؟
إن جَلَّ ذَنبی عَن الغُفرانِ لی أملٌ ... فی اللهِ یجعَلُنی فی خیرِ معتصمِ

آثاره

تنقسم نتاجات شوقی إلی قسمین: أولا: النتاجات الشعرية، ثانيا. النتاجات الأدبية، وكلتاهما حافلتان بكل جيد ونفيس. أولا: تنحصر نتاجاته الشعرية: فی ديوان اسمه «الشوقيات» ويقع فی أربعة أجزاء. (الفاخوری، ۱۹۵۳م: ۹۸۶؛ الزيات، لاتا: ۵۰۲؛ الفاخوری، ۱۹۹۱م، ج۴: ۴۸۸؛ خياط وغيره، ۱۳۸۵ش: ۹۲۵) يشتمل الجزء الأول منها علی منظومات حوت شعر الصبا، والمدائح فی «توفيق» و«عباس» وأيضاً تضمن شعر السياسة، والاجتماع، والتاريخ، وقد أشرف علی تصحيحه الدكتور «سعيد عبده» وقدم له الدكتور «محمد حسين هيكل». (هيكل، ۱۹۶۴م، مقدمة الجزء الأول: ۴- ۱۶)

أما الجزء الثانی فقد حوی الوصف، والغزل، وبعض المتفرقات. وقام بتحقيق هذا الجزء، اثنان: هما أحمد محفوظ، ونجل الشاعر «علی شوقی». (الفاخوری، ۱۹۵۳م: ۹۸۷) والجزء الثالث انطوی علی مراثيه كلها، ما عدا اثنتين. الأولی فی «فتحی زغلول» والثانية فی «عبد اللطيف الصوفی». أما الجزء الرابع، فقد تضمن متفرقات من المدائح، والإخوانيات، والأمثال الخرافية، وقام بتحقيقه «سعيد العريان».

وكتاب دول العرب، وعظماء الإسلام، وهی أراجيز تاريخية طبعت بعد وفاته، وقد نظمها شوقی فی فصول من تاريخ العرب الإسلامی حتی الفاطميين. (المصدر السابق: ۹۸۷؛ الزيات، لاتا: ۵۰۲) ويحوی الكتاب علی أرجوزة عارض بها لسان الدين الخطيب «رقم الحلل فی نظم الدول» كما يحوی التعريف ببلاغة العرب، والوطن وماهيته، وتاريخ البيت الحرام، والعرب فی الجاهلية، والسيرة النبوية. وللشاعر أيضاً ست روايات تمثيلية، وضعت بين ۱۹۲۹ و۱۹۳۲م. خمس منها شعرية، وهی: مصرع كليوباترا، قمبيز، علی بک الكبير، مجنون ليلی، وعنترة. وواحدة نثرية هی: أميرة الأندلس. وله أيضاً ملهاتان هما: الست هدی، والبخيلة. وهاتان الملهاتان لم تطبعا. (العقاد، ۱۹۳۷م: ۱۵۵- ۱۸۸؛ خياط وغيره، ۱۳۸۵ش: ۱۲۵؛ بهروز، ۱۳۷۷ق: ۳۶۴)

ثانيا: تنحصر نتاجاته النثرية، فی ثلاث روايات، ومقالات اجتماعية، ومسرحية واحدة هی (أميرة الأندلس). الروايات الثلاث هی: (عذراء الهند) وموضوعها من التاريخ

المصرى القديم العائد إلى زمن رعمسيس الثانى. وقد وضعها سنة ١٨٩٧م. ورواية (لادياس) أواخر الفراعنة. وهى صورة لحالة مصر بعد عهد بسمافيک الثانى، أى قبل القرن الخامس الميلادى. (العقاد، ١٩٣٧م: ١٥٥- ١٨٨) ورواية (ورقة الآس) وموضوعها يصل إلى زمن سابور ملک الفرس، ولعلها من نتاج القرن العشرين.

ومن مقالاته الاجتماعية «بنتاؤور»، (الزيات، لاتا: ٥٠٢) وهى نقد اجتماعى، صب أكثره فى قالب مسجع.

وهناک مقالات اجتماعية متنوعة الأوصاف، جمعت سنة ١٩٣٢م، تحت عنوان: «الأسواق الذهب». وفيها موضوعات: الحرية، والوطن، وقناة السويس، والأهرام، والموت، والجندى المجهول، وقد ذُيلت بطائفة من العبر والحكم القصيرة، استقاها الشاعر من حياته الشخصية. (الفاخورى، ١٩٥٣م: ٩٨٩)

أغراضه الشعرية

ينبغى لنا أن نذكر موضوعاً هاماً قبل بيان أغراض شوقى الشعرية، وهو:

لعلّ ازدواج الشخصية عند شوقى، أثّر تأثيراً مباشراً على أغراضه الشعرية، فجعلها تختلط، ويصبح الغرض متداخلاً مع أغراض أخرى، ويمتزج المدح بالاجتماع، والدين بالمدح، والوصف بالتاريخ، رغم كون القصيدة تتعلق بغرض دون غير. وقد يلحظ القارئ فى قصيدة تنحصر فى المدح، أنها حوت كل أشكال الشعر، وأن شوقى قد أدخل فى غرض المدح أغراضاً أخرى، لا صلة لها بهذا النوع من الشعر، بحيث يضيف التاريخ، والوصف، والفخر، دون أن ينسى الدين الذى يمسح به أكثر الأغراض لصوقاً بتعريف وطنية بلاده. فإذا قرأنا قصيدة، تتعلق بالوصف مثلاً، نجد الروح الوطنية، تتغلغل ضمن مقاطع الوصف، وتمتزج بالفخر، والمغالاة فى رسم صفحات التاريخ. ويكفى أن نقرأ قصيدته التى يرثى بها «اللورد كارنارفون» مكتشف قبر «توت عنخ آمون» والتى مطلعها:

فى الموتِ ما أعيا وفى أسبابه كلُّ امرىءٍ رهنٌ بِطى كتابِه

(العسيلى، ١٩٩٨م، ج١: ٨١)

أو قصيدته فى كبار الحوادث فى وادى النيل، والتى مطلعها:

هَمَّت الفُلكُ، واحتواها الماءُ وَحَداها بِمَن تُقِلُّ الرجاءُ

(المصدر السابق: ٢٠)

حتى نرى الحكمة تتوسط مطلع القصيدتين، وتضفى عليهما بعد ذلك مسحة دينية تبعث الرهبة، والقشعريرة فى الجسد، وتدفع دفعاً إلى الأخذ بالنصائح، والاستماع إلى الآراء. ومن أجل ذلك، لانستطيع أن نقف مع أغراض شاعرنا، وقفة صريحة واضحة من حيث تبويب القصائد، وفصل بعضها عن البعض الآخر. إذ قلّما تجد قصيدة، تظهر غرضاً مستقلاً عن بقية الأغراض. وأمّا أغراض شوقى الشعرية فالتاريخ، والمدح، وشعر السياسة، والوطنية، وشعر الاجتماع، والأخلاق، والحكم، والدين، والوصف، والشعر الوجدانى، والغزل، والرثاء، والمثل الخرافى، وسائرالأغراض. (حاج إبراهيمى، ١٣٨٥ش: ٢٤٧)

شعر الاجتماع، والأخلاق، والحكم

قد تعلق شوقى بأبى تمام، والمتنبى، وأصرّ على اقتفاء أثريهما فى علو الرفعة، وتبوء المقام الأعلى لدى العامة، والخاصة. ولذا فقد زيّن شعره بالحكمة التى كثرت فى أشعارهما. ورأيناه ينشر فى الحقل الاجتماعى آراء حكمية، ومواعظ أخلاقية، تتجه بالناس إلى الرزانة، والرصانة فى النهج القويم. وهو وإن أدخل هذا النوع من التوجيه الاجتماعى فى الرثاء، والغزل، والتاريخ، والسياسة، إلا أنه أكثر منه فى فن المديح، ليبدو فى شعره ناصحاً للممدوح، هادياً له، لامكتسباً، أو طالباً للوصول. وليبدو- أيضاً- متصلاً بالشعب لالتصاقه بذهنيته، ونوعية تفكيره، وبالتاريخ لأخذ عبره، وخلاصة تجاربه، وبالسياسة لاصلاح مسارها، ووضوح أهدافها. وبما أن الصحافة هى الموجّه الأول لمسيرة الشعب المنضبطة بالقيم الخلقية، فقد قال فى الاحتفال بإنشاء نقابة أصحاب الصحف:

لِكلّ زمانٍ مضى آيةٌ وآيةُهذاالزمانِالصُحُف

(شوقى، ١٩٩٨م، ج١: ١٣٥)

وبعد هذا المطلع المعرف بأهمية الصحافة، ودورها الفعال، لفت نظر أصحاب الرأى إلى البعد عن المتاجرة بالكلمة، وجعل الزهد بالمادة أساساً للعمل الإعلامى:

فيا فتيةَ الصحفِ صبراً إذا نَبا الرزقُ فيها بِكُم واختَلَف
...خُذوا القَصدَ واقتَنِعوا بالكفاف وخَلُّوا الفُضولَ يغُلها السَرَف

(المصدر السابق: ١٣٥)

إلى هنا يبدو الأمر متطابقاً مع واقع التوجيه، والإصلاح، ويشبه إلى حد كبير زهد ابى العتاهية، وإسماعيل بن القاسم (١٣٠-٢١٠ق). ولكن سرعان ما يظهر التناقض فى القصيدة ذاتها، حين يحاول توجيه أنظار الناس إلى الخطّ الذى عليه اعتماد الحياة. وهذا منافٍ للزهد المبنى على الطموح الروحى. فالزهد معناه البعد عن الطمع، والتكالب على المادة، وليس معناه القناعة القاعدة عن العمل بانتظار الحظ الذى أشار إليه الشعراء القدامى، وانسداد شعرهم بمعانيه البعيدة عن واقع العمل. وفى هذا يقول:

وَما الرزقُ مجتنبٌ حِرفةً إذا الحظُّ لم يهجر المُحتَرِف
وإذ آخَت الجوهرى الحظوظُ كَفَلنَ اليتيمَ له فى الصدف

(المصدر السابق: ١٣٦)

ونقف على سبب هذا التناقض، حين نجد شوقى سريع التأثر بأحكام الشعراء السالفين فى الجاهلية، والأموية، والعباسية. فهو لايبنى شعره على خبرته الذاتية، بل على آراء الشعراء الماضين، ينهج نهجهم، ويقول قولهم:

طَوَتهُ يدٌ للموت، لا الجاهُ عاصماً إذَا بطشت يوماً، ولا المال فاديا

(شوقى، ١٩٩٨م، ج٢: ١٦٠)

فأنت لاتجد فى حكمة هذا البيت، إلا ترداداً لما قاله زهير بن ابى سلمى، أو طرفة بن العبد فى فلسفة الموت، وتحديد أهميته. كما فى قوله:

وبعضُ المنايا تَنزِلُ الشهدَ فى الثرى ويحطُطنَ فى التُربِ الجبالَ الرواسبا

ألا ترى أنّ هذا المعنى قد استهلكه الشعراء، وأنهكوا معناه، وهل فيه من جديد يطلُّ علينا؟ ونصل إلى المعنى السطحى المبتذل حين يقول:

... تَخلِطُ العُمرينِ! شيباً وصِباً والحياتَينِ: شَقاءً ورفاها

(شوشة، ٢٠٠٦م: ٢٧٢)

فهو- هنا- لم يأتِ بشيءٍ جديد، بل ردد حكماً، رددها الشعراء من قبله، وتبدو سطحية معانيه فى تكراره للفظ الواحد فى مختلف قصائده بالخلق الكريم، والنفس الأبية، والشهامة العربية. فهذه الألفاظ، وماشابهها نجد تكرارها فى كثير من قصائده: فقد أشار إلى الأخلاق فى أبيات عديدة متشابهة، وكذلك إلى الآباء، والبطولة، والتضحية... إلخ. فإذا أخذنا الصبر مثلاً، ودوره فى تكوين الإرادة، وتعزيز الجرأة، والشجاعة لتحمل الأزراء، والمضى فى طريق الحياة العزيزة البناءة، نجد قوله:

ولا ترى صُحبةً تُرضَى عَواقِبُها كالحقّ والصَّبر فى أمرٍ إذا اصطَحَبا

(شوقى، ١٩٩٨م، ج١: ٧٧)

وكمثل قوله:

للترک ساعاتُ صَبرٍ يومَ نَكبتهم كُتِبنَ فى صحف الأخلاق بالذَّهبِ

(المصدر السابق:٦١)

وكمثل قوله:

وأشدّهم صبراً لمعتقداته وتأدّباً لمُجادلٍ ومُحاربِ

(المصدر السابق، ج٣: ٧٧)

وكمثل قوله:

صبراً لباةَ الشَّرقِ كلُّ مصيبةٍ تَبلى على الصبرِ الجميلِ وتخلقُ

(المصدر السابق: ١١٠)

والأمثلة على بقية الرموز الخلقية، كثيرةٌ لاتحصى، يوردها على عياهنها دونما مناقشة، أو تحليل. فهو حين يقول:

ومَهدَ العلومِ الخطيرَ الجَلا لِ، وعهدَ الفنونِ الجليلَ الخطر

(شوشة، ٢٠٠٦م: ١٢٨)

أو يقول:

وأرى العِلمَ كالعبادة فى أبعدِ غاياتِه: إلى الله أدنَى

(شوقى، ١٩٩٨م، ج١: ١٤٣)

يورد لنا رأيه فى العلم دونما مناقشة: فلا يقول لنا شيئاً عن مهد العلوم الخطيرة، ولاعهد الفنون الجليلة، ولايفسر لنا كيف يرى العلم كالعبادة فى بعض غاياته التى تدنيه من الله؟ إنه يبسط رأيه حكمة مجرّدة من أى تفسير، بل يكتنفها الغموض الكامل التجريد. وفى بعض الأحيان، يورد الشاعر توجيهاته وحكمه، ممزوجةً بالوعظ، والإرشاد، تنسجها العاطفة المتداخلة، ضمن الأفكار، والآراء الجامدة الشرح والتفسير. فهو حين يقول:

ويقولونَ: جَفاءٌ راعَهُ مِن أبٍ اَغلَظَ قلباً من حَجَر
وامتحانٌ صَعّبتُه وَطاةٌ شَدَّها فى العلم أستاذٌ نَكِر
لاأرى إلا نظاماً فاسداً فَكّكَ العلمَ وأودى بالأُسَر؟

(شوقى، ١٩٩٨م، ج١: ١٢٦)

يقدم وصفاً ممزوجاً بعاطفةٍ بعيدةٍ عن التفسير، والتعليل. يقول: أبٌ غليظ، وقلبه من حجر. ويقول: امتحان وطأته صعبة. ويقول: نظام فاسد. ولكنه لايفسر ما يقول، بل يترك التفسير للقارئ البعيد عما يراه الشاعر.

وإذا كنا قد بَيّنَّا سلبيات قصائده فى المجتمع العربى، فواجب علينا أن نبين الإيجابيات التى امتاز بها، وكان لها الواقع الحسن فى النفوس. وإيجابياته كثيرة فى قصائده. كمثل قصيدة أيها العمال الذى يعطى فيها نصحه المخلص للنهوض بمصر الجديدة المتوازية، ونهضة العالم المتمدن، ويدعوهم إلى إتقان الصنعة:

إنَّ لِلمُتقِنِ عِندَ اللهِ والناس ثوابا
أتقِنُوا، يحببكم اللـ ـهُ، ويرفعكم جنابا

(المصدر السابق: ٩٠)

ويدعو إلى العلم الذى يعزُّ الشعب، ويرفع الأمم، ويعلى ركن الحضارة التى بها مجد الدولة الصاعدة فيقول فى قصيدة الأزهر:

الغافل الأمى ينطُقُ عندكم كالببغاء، مُردّداً، ومكرّرا

يمسى ويصبحُ فى أوامر دينه وأمورِ دنياهُ بِكُم مُستبصرا
... لاتَجعلوه هوى وخُلقاً بينكم ومَجَرَّ دنيا للنفوسِ، ومَتجَرا

(المصدر السابق: ١٥٣)

وبعد أن يذكر العلم الذى استشهد فى سبيله «سقراط» يتوجه فى قصائده نحو القوة التى هى دعائم نصرة الوطن، وتقدمه، ويهتف بحاكم مصر، وشعبه إلى جعل القوة أساس كل عمل يبعد الخوف، وينهض بالوطن على دعائم الشجاعة، والبطولة الحقة، وذلک من خلال قوله فى «صدى الحرب»:

وما السَيفُ إلا آيةُ الملکِ فى الورى وَلا الأمرُ إلّا للّذى يتَغلَّبُ
فَأدّب به القومَ الطغاةَ، فإنه لَنِعمَ المُرَبّى للطغاة المؤدّبُ

(المصدر السابق: ٤٢)

ويرى من يسمع شعره أنّ القوة كانت الحامية لدين الله، فلولا بطولة محمد(ص) ودفاعه الشريف عن حياض الإسلام، لما انتصر دين الحق على الكفرة الطغاة المارقين:

بِسيفکَ يعلوالحقُّ،والحقُّ أغلَبُ وينصَرُ دينُ اللهِ أيان تَضرِبُ

وهناک قصائد كثيرة يذكر فيها القوة التى تبنى الممالک والدول. ولكنّه لايغفل الأخلاق التى بها تصبح القوة أساس بناء العدل، لاوسيلة إنزال التعسف والظلم. ومن أجل ذلک دعا إلى مزج القوة بالتقوى، والعدل، والتسامح، والزهد بالمادة، ومتفرعاتها المبنية على التكبر، والغرور، وتجنّب الغيبة، والنميمة، والحسد. كما نهى الشباب عن إغراق أنفسهم فى الخمر، والميسر، والتسكع على أعتاب البطالة. ذكر هذا كلّه فى شعره، وقرنه بالأخلاق التى هى أساس كل نهضة دائمة، ومجدٍ مبنى على الحقّ. وقد شاعت أبيات الأخلاق المأخوذة من قصائده. كمثل قوله:

كذاالناسُ بالأخلاق يبقى صلاحُهُم ويذهَبُ عنهم اَمرُهُم حين تَذهَبُ

(حسن، ١٩٦٤م: ١١٣؛ شوقى، ١٩٩٨م، ج١: ٤٦)

وقد جعل شوقى، الأخلاق منارةً للدين، وهدياً للمؤمنين، وبها فوز الناس أجمعين كما فى قوله فى «الهمزة النبوية»:

يا مَن له الأخلاقُ ما تَهوى العُلا منها وما يتَعشَّقُ الكبراءُ
لولم تُقم ديناً، لقامَت وَحدَها ديناً تُضيءُ بنورِه الآناءُ
زانَتكَ فى الخُلقِ العظيم شمائل يغرى بِهنَّ ويولَعُ الكُرَماءُ

(شوشة، ٢٠٠٦م: ١٧)

وإلى جانب الأخلاق، ذكر البّر والإحسان، وأشاد بالمشاريع الإنمائية التى تبنى اقتصاد الوطن، وترفع من شأن المواطن المندفع فى طريق الخير، كما فى قصيدة «الهلال والصليب الأحمران»:

المحسنون هم اللُّبا بُ وسائرُ الناسِ النفاية

(شوقى، ١٩٩٨م، ج١: ٢٩٣)

وحين دعا قاسم أمين (١٢٧٩- ١٣٢٦ق/١٨٦٣- ١٩٠٨م) إلى تحرير المرأة، لم يشارك شوقى فى تلك الدعوة مخافة أن يغضب القصر، وحرصاً على المرأة التى إن رفعت الحجاب، قد تقع على الرجال الجاهلين، الذين يسيئون إليها، ويلحقون بها الأضرار الفادحة. وقدورد هذا فى قصيدته «بين الحجاب والسفور» التى يقول فيها مشبهاً إياها بالبلبل:

إن طِرتَ عن كَتِفى وَقَع ست على النسورِ الجُهَّلِ

(المصدر السابق:١٧٩)

على أى حال، لشوقى قصائد كثيرة، ملأى بالنصائح، والمواعظ المأخوذة من الاجتماعيات الغائصة فى ثنايا الفكر، والنفس البشرية، والمليئة بتأملات فلسفية جديدة. وشوقى وإن أعطانا فى شعر «الاجتماع، والأخلاق، والحكم» كلّ ما يحلم به إنسان عاقل، أو يمر بخاطر أى إنسان، فهو لم يغص فى أعماق النفس، ولم يأت بجديد، بل سارَ على خُطى مَن سبقه، ففى سطحية قريبة من النثر فى الشعر، والعفوية فى الفكر، والآراء.

النتيجة

كان أحمد شوقى رجل الحياة يحبّها، يريد لبلاده عزّة، وتحرّرا من كل قيد، ويريد للشرق تقدماً سريعاً فى سبيل الحضارة والانفتاح، يدعو إلى نبذ الأحقاد، ونشر لواء السلام، والتسامح فى معاملة الناس، والارتفاع عن مقابح الأخلاق السيئة. فقد زين شعره بالحكمة. رأيناه ينشر فى الحقل الاجتماعى آراء حكمية، ومواعظ أخلاقية، تتجه بالناس إلى الرزانة، والرصانة فى النهج القويم. ونحن نجد شوقى سريع التأثر بأحكام الشعراء السالفين فى الجاهلية، والأموية، والعباسية. وهو لايبنى شعره على خبرته الذاتية، بل على آراء الشعراء الماضين، ينهج نهجهم. ويدعو إلى العلم الذى يعزّ الشعب، ويرفع الأمم. وقصارى القول إنّ شوقى شاعر الغزل، وناظم الحوادث، والتاريخ، وصاحب الحكم الرائعة، وترجمان العاطفة الوطنية.

المصادر والمراجع

أبوالعز، أحمد عبدالوهاب. ١٩٣٢م. *اثنى عشر عاماً فى صحبة أمير الشعراء*. القاهرة: لانا.

بهروز، أكبر. ١٣٧٧ش. *تاريخ أدبيات عرب*. تبريز: انتشارات دانشگاه تبريز.

حاج إبراهيمى، محمد كاظم. ١٣٨٥ش. *تاريخ الأدب العربى الحديث*. اصفهان: انتشارات دانشگاه اصفهان.

حسن، عباس. ١٩٦٤م. *المتنبى وشوقى*. القاهرة: دارالمعارف بمصر.

حسين، طه. ١٩٣٣م. *حافظ وشوقى*. القاهرة: لانا.

خياط، جلال وغيره. ١٣٨٥ش. *تاريخ الأدب العربى الحديث*. ترجمة محمود فضيلت. تهران: انتشارات رازى.

الزركلى، خيرالدين بن محمود. ١٩٨٠م. *الأعلام*. الطبعة الخامسة. بيروت: دارالعلم للملايين.

الزيات، أحمدحسن. لاتا. *تاريخ الأدب العربى*. الطبعة الرابعة والعشرون. لانا.

شوشة، فاروق. ٢٠٠٦م. *مختارات من شعر أحمد شوقى*. مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى: الكويت.

شوقى، أحمد. ١٩٩٨م. *الشوقيات*. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمى.

العسيلى، على. ١٩٩٨م. *الشوقيات*. بيروت: مؤسسة الأعلمى.

العقاد، عباس محمود. ١٩٣٧م. *شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى*. القاهرة: لانا.

الفاخورى، حنا. ١٩٥٣م. *تاريخ الأدب العربى*. الطبعة الثانية. بيروت: المطبعة البولسية.
_____ . ١٩٩١م. *الموجز فى الأدب العربى وتاريخه*. بيروت: دار الجيل.
محفوظ، أحمد. لاتا. *حياة شوقى*. القاهرة: لانا.
هيكل، محمدحسين. ١٩٦٤م. *الشوقيات*. بيروت: لانا.

دراسة آراء سيبويه الصوتية فى ضوء البحث اللغوى الحديث

مهين حاجى‌زاده*

الملخص

علم الأصوات علم جديد قديم؛ جديد لأنه واحد من فروع علم اللسانيات الذى لايعدو تأسيسه مطلع هذا القرن، على يد اللغوى السويسرى فرديناند دوسوسور، وقديم لأنه واحد من العلوم التى تقوم عيها كل لغة. ولمّا كان الأمر كذلک، فقد عنى أصحاب كل لغة بأصواتها منذ أقدم العصور، والعلماء المسلمون أيضا تنبهوا قديما إلى قيمة الصوتيات الكبيرة فى الدرس اللغوى، وبينهم علماء لغويون أفذاذ، لايقلون أهمية عما يعرف الغرب، وغيره اليوم من علماء، أمثال سوسير، وتشومسكى، وياكوبسون، بل قديفوقون هؤلاء فى ميادين مختلفة، من البحث اللغوى العلمى، وفى طليعتهم سيبويه الذى يعد الرائد الحقيقى فى الدراسات الصوتية العربية، وأعماله فى هذا المجال هى الأساس لكل الأعمال الصوتية من بعده.

يحاول هذا المقال إلقاء شىء من الضوء، على تفكير سيبويه الصوتى، وعلى منهجه فى دراسة أصوات اللغة العربية، وطريق تحليلها، وإبراز الجوانب المشرقة فى دراساته، بالنظر إلى أهم النقاط التى ترسم إطار هذا التفكير، وتبيّن حدوده، وأبعاده من وجهة النظر الحديثة، بقصد بيان موقع دراساته الصوتية من الدراسات اللغويين الأجانب المحدثين عن طريق الربط، أو المقارنة.

الكلمات‌الدليلية: التراث الصوتى العربى، علم الأصوات، اللسانيات، سيبويه.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة تربيت معلم آذربايجان.

تاريخ الوصول: ١٣٨٨/٩/١٥هـ . ش تاريخ القبول: ١٣٨٨/١١/١٨هـ . ش